شرعة ومنهاج

عبد العزيز بن مرزوق الطريفي

٢٤

البدع والشبهات

لقاءات علمية مرئية (مفرَّغة)

الفهرس

البدع والشبهات [1] 1

- مفهوم البدعة 2
- نشأة البدعة 4
- العاطفة والبدعة 6
- المحاكاة والبدعة 8
- خطر البدعة 10
- الفرق بين البدعة والمبتدع 11
- اجتهاد الصحابي بما دل الدليل عليه 12
- مراتب البدعة 15
- واجب العالم تجاه البدعة 16
- السلطان والبدعة 18

[1]) رابط الحلقة http://www.youtube.com/watch?v=IcsO6j30GdI

مفهوم البدعة

البدعة من جهة اللغة هي الإحداث أو التجديد سواء كان لشيء قد وجد قبل ذلك ثم حدث له اندثار أو لم يوجد من قبل ثم أوجده الإنسان .

والشبهة هي الشيء الذي يتردد بين أمرين ولا يستطيع الإنسان أن يحسمه ، والله قد حذر من الشبهات ولهذا يقول تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾(آل عمران : 7)

فأصل كلام الله من جهة تنزيله ومقصوده مُحكم بيّن ظاهر ولكن ثمة أمور مشتبه وأخرى متشابهات وهذه المتشابهات نسبية ليست مطلقة وإنما ترجع النسبية للعالم ليُثبت الله له عدم إحاطته بالعلم الذي في إمكانه أن يعلمه ، فكيف فيما لا يعلمه من علم الله مما لم يجعل الله للإنسان أسباب بالعلم به ، وهذا من حكمة الله سبحانه .

والشبهات في دين الله لها معنيين :المعنى الأول : شبهات لا يستطيع الإنسان حسمها ويحتاج إلى مزيد بحث وتحري وهذا ظاهر في الصحيحين وغيرهما كما جاء عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ (إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ)[٢] قال لا يعلمهن كثير وما قال كل الناس وذلك أن كثير من الناس يجهلون بسبب ضعف علمهم فقد تكون المسألة مشتبه عندك ولكنها عندي ظاهرة بيّنة أو العكس .

والمعنى الثاني : شبهات البدع التي حذر الله منها كما في قوله تعالى ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام : 153)جاء عن عبد الله بن عباس ومجاهد بن جبر كما روى ابن جرير الطبري في كتابه التفسير قال مجاهد بن جبر "السبل هي البدع والشبهات " .

[٢]) رواه البخاري كتاب: الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه، (52)، ومسلم – كتاب: المساقاة، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات، (1599)، (107).

والبدع والشبهات هي المحدثات في دين الله أو يريد الإنسان حال إحداثها في دين الله أن تكون مشتبهة فلا يستطيع الإنسان أن يعلم هل هي من الدين أو ليس من أصلها أو منبعها .

ولكي يعلم الإنسان أن هذه بدعة أوشبهة ذات نسبة دينية أصلية ومنبعها من الوحي عليه بتتبع الدليل كحال الحبال فالحبل قد يمتد لمترين أو أكثر إذا وصل إليك شيء من العلم أو شيء من الوحي عليك أن تتبع ذلك الدليل ، هل ينتهي للوحي أو ينتهي لعقول الرجال إذا انتهىٰ لعقول الرجال فهذه هي البدعة التي حذر الله تعالىٰ منها .

والبدع الدينية هي التي يحدث تعبد لله بها ، أما ما يتعلق بالبدع الدنيوية من إحداث اللباس والمركب والبنيان ومن صناعة الأواني وغير ذلك فهذه من البدع الدنيوية يفعل الإنسان بها ما يشاء ، ولهذا جعل النبي ﷺ لها حدود ولم يجعل لها رسمًا ، يعنىٰ أن الشريعة لم ترسم البدع الدنيوية فتنهىٰ عنها بذاتها وإنما جعلت لها حدودًا لا يجوز للإنسان تجاوزها .

وقد جاء في السنن من حديث عمرو بن شُعيبٍ عَنْ أَبيهِ عَنْ جَدِّه رضي الله عنهم قالَ : قالَ رسول اللهِّ ﷺ(كُلْ واشرب والْبَس وتَصدَّقْ في غير سَرَفٍ ولا مَخِيلةٍ) [٣] فالأمر في ذلك سعة وضع حدودًا خارجية عنها ولا تُشكل في ذاتها كما في العبادات فالصلاة لا تخرج عن وصفها وكذلك وصف الصيام ووصف الزكاة وغيرها من الأمور التي جاءت في الشريعة .

وقد جاء عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ (قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ)وفي روايةٍ "مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ ")[٤]والمراد في أمرنا يعنىٰ أمر الشريعة وليس المراد أمر الناس لأن النبي ﷺ قد جاء بالوحي وإرثه العلم فكما جاء(عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: لا نورث، ما تركناه صدقة)[٥] .

[٣]) البخاري معلقاً "فتح الباري" (10 / 252)، 77- كتاب اللباس، 1- باب قول الله _ تعالى _: "قل من حرم زينة الله ،،،*، والنسائي (5 / 79)، 23- كتاب الزكاة، 66- باب الاختيال في الصدقة، وابن ماجه (2 / 1192)، 32- كتاب اللباس، 23- باب البس ما شئت ما أخطأك سرف أو مخيله، حديث رقم (3605).

[٤]) رواه البُخاريّ في "صحيحه" رقم: 2697، ومسلم في "صحيحه" رقم: 1718. أمّا الرِّواية الثَّانية فأخرجها مسلم في "صحيحه" رقم: 1718 بعد 18. وعلّقها البُخاري في "صحيحه" قبل رقم: 7350. وأُنظر: "فتح الباري" 302/5 و"تغليق التَّعليق" 396/3، و326/5.

[٥]) رواه البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: الفرائض، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا نورث ما تركناه صدقة"، (12/ 8)، رقم (6730). صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: الجهاد والسير، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا نورث ما تركناه فهو صدقة"، (7/ 2746)، رقم (4498).

وجاء عنه ﷺ (إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ)[٦] .

ويقع عند كثير من الناس الخلط بين البدعة الدينية والبدعة الدنيوية ولهذا بعض الناس إذا أُنكر عليه أمر معين كبعض الأجهزة التي يستعمل فيها المحرم يظن أن الإنكار لتركيب هذا الجهاز من نحاس أو بلاستيك ويغيب عنه أن الأصل هو ما يصدر عن هذا الجهاز من أمر محرم ، فكل آلة غلب استعمالها في المحرم فالعلماء يطلقون عليها التحريم ولكن إذا استعملت في غير ذلك فإنها بحسب استعمالها ، ولهذا الذين يقصرون في فهم مقاصد الشريعة يخلطون في هذا الباب ويظنون أن العلماء عند التحريم يريدون ذات الشيء ولا يريدون الوصف وهذا خلط بين البدعة الدينية والدنيوية فالبدعة الدينية هي ما يتعلق بجانب التعبد لله فلابد من الرجوع لكلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ والبحث عن دليل في ذلك .

نشأة البدعة

نشأت البدع في دين الله بعد اكتمال الشريعة فقد قال الله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِينًا ﴾(المائدة: 3)فأكمل الله الدين وسماه نعمة ورضيه لنا دينًا أي ما أنزله على رسوله ﷺ فكل شيء يضاف لدين الله فإنه زيادة عن الكمال وهذا اتهام للشريعة ضمنًا بالنقص ، والله تعالى قد جعلها نعمة فالزيادة على تلك النعمة لا تسمى نعمة وإنما نقمة لأن الله رضيها ولم يرضى غيرها ، فالله رضي لنا الإسلام دينا وهو الدين الكامل والنعمة التامة .

والبدعة من جهة نشأتها على نوعين :

النوع الأول : بدعة أنشئت من قبل عدو لدود لدين الإسلام وهم كُثر ممن دخل في الإسلام من الباطنيين ومن اليهود الذين يدخلون في دين الله ما ليس منه حتى يكون الناس أقسامًا .

٦) جزء من حديث مروي عن أبي الدرداء من طرق كثيرة تدور أغلبها على: عاصم بن رجاء : ومنها رواية ورواه عبد الله بن داود الخريبي عن عاصم بن رجاء عن داود بن جميل عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء به ،أخرج هذه الرواية أبوداود (3641)، وابن ماجة(223)، والدارمي(343)، وابن حبان(88)، والبيهقي في الشعب(1571).

والإسلام جاء بوحدة المسلمين حتى يكونوا على ملة واحدة ولهذا يظهر الله الامتنان لنبيه ﷺ كما في قوله تعالى ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(الأنفال : 63) فألفّ الله تعالى بينهم على الإيمان ولم يؤلف بينهم على القبلية أو العرقية أو المادية أو الحسب والنسب والبلدان وإنما ألف بينهم على الإسلام .

فبعد ما كانوا على عنصرية وجاهلية وتحزب جمعهم الله تعالى على ملة واحدة وهي الدين الإسلامي الذي جاء به رسول الله ﷺ فتقطعت الحبال والعروة العظمى التي يتمسك بها الناس سواء كانوا العرب من جهة الحسب والنسب أو ما يتعلق بالماديين من جهة المال فأصبح المديني يأتي له المكي والأعرابي والرومي واليماني وربما قسموا الأموال وأصبح العربي الشريف يزوج ابنته لمن ليس من العرب وهو ما لم يكن موجود قبل الإسلام.

والبدعة حينما تأتي من شخص من غير دين الإسلام فإنه يريد إحداث اضطراب وزحزحة ، لأن الإسلام إذا كان واحدًا والناس على رأى واحد وتوافق كما كان في الصدر الأول فإنهم يتراحمون وإن زاحمهم شيء زاحمتهم الشهوة ومزاحمة الشهوة أيسر بكثير من الشبهة لأنه الشبهة دين وأما الشهوة نزوة مثل كثير من المحرمات التي تطرأ على الإنسان.

النوع الثاني : مجتهد مبتدع ممن يشيع البدعة داخل الإسلام باجتهاد وحسن قصد وذلك كالقياس على قياس ليس بصحيح أوربما استمسك بشيء من النصوص الواهية أو ربما تساهل العلماء في بداية البدع اليسيرة ثم تفاقمت مع الزمن فوصلت للكفر بعدما كانت شبرًا يسيرا وهذا هو الأصل في الأفكار ولهذا جاءت الشريعة ببيان خطورة البدع والشبهات وتعظيمها على جوانب الشهوات باعتبار أن الشهوات يُتاب منها والبدعة في الغالب لا يُتاب منها .

العاطفة والبدعة

بيّن الله أن بعض الناس يكفر وهو يظن أنه محسن ولذلك يقول تعالى ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ (الكهف:103-104) يظن أنه ممن يحسن صنعًا ويتدين لله بمثل هذا الشيء وكذلك في قوله ﴿ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴾(الغاشية: 3) فما نفع هذه النفس كدها ولا كدحها في الدنيا وهي تزعم أنها في الحق.

ويقول الله تعالى﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (الإسراء: 15) فكيف يعذبه الله وهو يعمل وينصب في الدنيا ويظن أنه قد أحسن صنعا لأن الحُجة قد جاءت إليه ثم أعرض وأدبر عنها ولم يلقها بالاً وهذا نوع من الإعراض حينئذٍ ممكن أن يكون الإنسان جاهلاً من جهة حقيقته ، بمعنى أن عقله لم يصل إليه المعلومة ، لكن وصلت أمامه ثم وضع أصبعيه في أذنيه واستغشى ثيابه فهو الذي يتحمل هذا الأمر ، كحال الإنسان الجائع إذا اشتد جوعه ثم أعطي طعامًا فوضع على عينيه وفمه غشاء ، وهنا تمكن من وصول الشيء إليه لكنه هو الذي أبى أن يستعمله حتى ينقذ نفسه ، وكذلك الذي ينقذ نفسه من الجهل.

ولهذا الإنسان ربما يعمل بالباطل متعمدًا ويظن أنه يحسن صنعا ومن جهة الحقيقة هو مُبطل ، جاءه الحق ولم يدخله فهو الذي أبى عنادا وتكبرا ولهذا كان كفار قريش يعلمون أن محمد على الحق ولكنهم عاندوا .

يقول الله تعالى واصفًا حالهم ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (الأنعام: 33) كفار قريش يعلمون أن النبي ﷺ جاء بالحق ولكنهم يجحدون بما جاء به.

وكذلك قوم موسى ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (النمل: 14) فيجحدون في الظاهر ومن جهة الباطل يعلمون أنه الحق .

فنجد كفار قريش في مكة ربما أقروا بفلتات ألسنتهم بصدق محمد ﷺ ولكن منعهم العناد والكبر.

فأبو طالب يعلم أن النبي ﷺ جاء بدين حق ولكنه رأى سواد قريش وكثرة كفاره فخشي ترك دين آبائهم مما كانوا عليه من الكفر وعبادة الأصنام وقد دعاه ﷺ فقال (أَيْ عَمِّ قُلْ : لا إِلَهَ إِلا اللهُ ، كَلِمَةٌ أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ)[٧] .

ولهذا أبو طالب وهو عم النبي ﷺيوصف النبي بالمحامد وبيان منزلته وصدق دعوته كما يقول في نونيته المشهورة في مدح النبي:

والله لن يصلوا إليكَ بجَمْعهم حتّى أُوسَّدَ في التُرابِ دفينا

امضِ لأمرِك ما عليكَ غضاضةٌ أبشِرْ وقُرَّ بذاكَ منكَ عيونا

ودعوتني وزعمتَ أنكَ ناصحٌ فلقدَ صدقتَ وكُنتَ قبلُ أمينا

وعرضتَ دينًا قد علِمتُ بأنهُ من خيرِ أديانِ البريةِ دينا

لولا الملامةُ أو أُحاذرُ سُبَّةً لوجدتني سمحًا بذاكَ مبينا[٨]

يعنى لولا أن تُعيرني قريش أني تركت ملة عبد المطلب لأمنت بما جئت به يا محمد .

ولهذا فإنه ثمة موانع مادية تمنع الإنسان من إتباع الحق منها الإغراء المادي أو السيادة والشرف أو ربما شهوة ذاتية في الذات ، والإنسان ربما يأتي ببدعة ويعلم أنها خاطئة ويحدثها في دين الله ويكون دافعه المكابرة أو الهوى ، وامتزاج الأفكار والشبهات في عقل الإنسان كامتزاج الماء ، فتجد في إناء واحد أجناس متنوعة من الماء ومن الكبريت والعصير تمزجها في موضع واحد ، وكذلك عقل الإنسان وفكره ربما تجتمع معه شهوة وسيادة وطمع مادي وربما أيضًا جهل وغير ذلك حتى يتشكل منها فكرة كما تتشكل من السوائل المخلوطات.

والدوافع البدعية للإنسان متعددة ولكن جملة أركانها تتمركز في الجاه والسيادة في الناس وحب المال وحب الاستكثار منه والزيادة .

[٧]) رواه البخاري برقم1360 ، 3883 4675، 4772 ، 6681 ومسلم برقم24

[٨]) ديوان أبي طالب : 189.

البدعة والمحاكاة

حجة الأمم السابقة لأنبيائهم حجة مشتركة ذلك أنهم يقولون كما قال الله تعالى ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الزخرف: 22) يعني أننا نسير مسار أولئك الآباء ، والابتداع هو الإحداث على الكتاب والسنة ، فنرجع للكتاب والسنة فإذا لم توجد فيه فإنها بدعة أيًّا كان منشئها ، فإذا قلت أنها لا توجد في الكتاب والسنة و إنما قالها عالم معتبر فقد جعلت قسيم للكتاب والسنة مشرع سواء كان حاكم أو عالم أو ربما من الآباء والأجداد أو ربما من يشتهر في الناس .

ولهذا فإن في أمثال هذه القضايا ينبغي للإنسان إذا وجد بدعةً أو عملاً من الأعمال فعليه أن يبحث عن أصله وذلك كحال الحبال وهي الأفكار التي تصل للإنسان كحال الحبل الممتد منه ما ينتهي بمتر ومنه ما هو أبعد من ذلك .

ولهذا يجب على الإنسان أن يتتبع حبال الأفكار إذا وجد أن مرجعها الكتاب والسنة فهي بدعة محكمة وليس للإنسان أن يقوم برده ، وإذا وجد أن أنه يرجع إلى عالم مثلاً من العلماء نقول هذا لا يؤخذ منه التشريع ولكن يؤخذ منه الاجتهاد أو النقل من جهة الشريعة باعتبار أنه لا تشريع من دون الله .

وكثير من المجتمعات ينتشر فيها البدعة والقول بالباطل ولدى الناس إنما هي محاكاة لأحوالهم .

وفي ذلك موقف حدث لي :

كنتُ أجالس أحد على سبيل الاعتراض في أحد البلدان الإسلامية ثم تحدث إليه رجل في الهاتف ودعاه إلى مولد السيدة زينب ثم دعاني للمولد ، فقلت له من هي السيدة زينب ؟ فقال : لا أعلم ؟ قلت زينب ابنة من ؟ فقام بالاتصال بهذا الشخص قال من هي السيدة زينب ؟ قال لا أعلم وإنما هو احتفال بمولدها على سبيل التجرد ، إذًا هو يريد المحاكاة ، فبيّنت له مسألة السيدة زينب ومن هي الزينب الموجودة في التاريخ ولها أثر سواء زينب بنت علي بن أبي طالب أو زينب بنت الحسن وغيرها من الزينب .

فمثل هذه القضايا يأخذها الناس بحكاية المجتمع الذي يكونون فيه ولكن لا يتتبع الأثر ، ويأثم لأنه لو كان من أمر الدنيا وقيل للإنسان عليك مثلاً بهذا الأمر لقام بتفحص الأمر لدنياه ، لكن أمر الدين وما وجد الإنسان لأجله لا يتتبع أثره !.

فعليه أن يلتمس الدليل ، يقول الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(الذاريات : 56) فإذا علمت أنك وجدت في هذه الدنيا لأجل التعبد فعليك أن تحتاط للتعبد أولى من الاحتياط للدنيا .

ولهذا الغفلة المصطنعة أو الغفلة الضعيفة التى توجد عند بعض العلماء أو بعض العامة أو ربما عند بعض المتعلمين التي يصنعها الإنسان لنفسه وهي غفلة من جهة الحقيقة ، ولكن لا نعذره بجهله إذ أمكنه أن يتعلم أو أن يلتمس العلم فيجده ، فأصبح جاهلاً من جهة الحقيقة ، فهو الذي تسبب بجهله.

فيجب على الإنسان أن يتعلم أمور دينه وهذا التعلم مما أوجبه الله عليه بأن يرفع الجهل عن نفسه .

خطر البدعة

البدعة خطيرة جدًا وهي أعظم عند الله تعالى من المعاصي وهي أحب لإبليس من المعصية لأن الإنسان يفعل المعصية وهو يعلم أنها مُحرمة لهذا يزني الإنسان ولا يحب أن يُزنى بمحارمه ويسرق من الناس ولا يحب أن يُسرق منه ، أما البدعة يفعلها تدين في أهله ويفعلها في الناس ولا يُتاب منها و قد جاء هذا في جملة من الأحاديث كما جاء عن رَسُولُ اللهِّ ﷺ قَالَ (أَبَى اللهُّ أَنْ يَقْبَلَ عَمَلَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ حَتَّى يَدَعَ بِدْعَتَهُ)[٩] وهذا ما فسره جماعة من العلماء كالإمام أحمد وغيره وليس المراد أنه لو تجرد وتاب لا يُقبل فالتوبة تُقبل ولو كان مُشركا والإشراك مع الله أعظم من البدعة ، ولكن المراد أن البدعة من عِظَمِ أمرها لا يُرجع عنها في الغالب باعتبار أن الإنسان يفعلها تديناً فكيف يرجع عن دينه إلا ما يطرأ من انتكاسات يسيرة من مراجعات للإنسان فإنه ربما يرجع .

[٩]) رواه ابن ماجه (رقم 50) و ابن أبي عاصم في " السنة " (ق 2/4) و الديلمي (80/1/1) من طريق أبي الشيخ عن بشر بن منصور الحناط ، عن أبي زيد عن أبي المغيرة عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره .

والبدعة تتفاقم وتزيد بخلاف المعصية ، فالمعصية تقل كلما قلت دوافع الشهوة لدى الإنسان فالسارق يمتهن السرقة فإذا اغتنى تركها ، كذلك الزاني يزني ما قامت فيه الشهوة فإذا ضعف أو كبر سنه أو وجد من الحلال ما يغنيه فإنه يدع جوانب الحرام .

والبدعة عَظُم أمرها لأنها تنمو فما من بدعة إلا وتنشأ يسيرة ثم تتعاظم وتكبر ولهذا الطوائف البدعية سواء في بدع السلوك أو الأقوال أو بدع الأقوال أو الأعمال تدرجوا فعبدة الأصنام ما اجتمعوا على صنم ثم نحتوه فطافوا عليه وذبحوا له ووضعوا له النذور والقرابين من دون الله فلم يكن هذا موجودًا وإنما كان ذلك على سبيل التدرج بدأوا به يسيرًا بالرفع والتعظيم ثم جاء جيل بعد ذلك زاد من العبادة حتى أصبحت شركًا ، وهذا ما كان عليه المشركون في الجاهلية ممن كانوا من الصالحين من قوم نوح وذلك أنهم صنعوا لهم صورا علقوها ثم جاء جيل بعد ذلك حتى تجاوز في هذا إلى ما هو أكثر من ذلك حتى عبدوا الأصنام وانتهى إلى ما آل إليه كفار قريش من تعظيم الأصنام ، وهذا لاشك أنه من تعاظم البدع .

كذلك عُباد الكواكب من جهة تعظيمها أخذوا يعبدون كوكبًا معينًا فإذا غاب توجهوا لغيره ثم إذا وجدوا من هو أكبر عبدوا من هو أكبر منه ثم بعد ذلك تفننوا في هذا الباب .

ولهذا فإن البدعة تزيد بخلاف الدين جاء مضبوط محدود لا زيادة فيه وهذا سر التشديد في جانب البدع في الشريعة لأن البدعة في ذاتها اتهام لدين الله بالنقص والله تعالى يقول ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾(المائدة : 3) فكل شيء في دين الله تام كامل ، فاتهمت البدع الشريعة بعدم الكمال وهي ليست بحاجة لزيادة ، فالشريعة جاءت بإحكام تام ليس للإنسان أن يزيد فيها لأن الزيادة فيها تخل تركيب الدين والدنيا لأن الله جاء بدين يحفظ للإنسان نظام دينه ودنياه فلا يشغله ولهذا جاء في الأثر (لاَ رَهْبَانِيَّةَ فِي الْإِسْلاَمِ)[10] فإذا زاد الإنسان في جوانب العبادة من جهة الصلاة وزاد في جوانب القربات مما لم يكن عند النبي ﷺ ولم يأتي الدليل في

[10]) اقتضاء الصرط المستقيم – ابن تيمية 327/1 ، وجاء في حديث مرسل رواه طاوس بن كيسان بلفظ: "لا خزام، ولا زمام، ولا سياحة ولا تبتل، ولا ترهب في الإسلام" (عبد الرزاق 15860).

إطلاقه فإنه يأتي الاختلال فيدخل الدين على الدنيا والرهبانية فيختل النظام لهذا جاءت الشريعة بضبط هذا الجانب بوضع حدود حتى لا يختل نظام السياسة والقضاء والحدود والتعزيرات فوضعت خطوط عامة ، أما من جهة العبادة فرسمت عينًا وحرم على الإنسان أن يشكل فيها أو يزيد فيها جنسًا لهذا عظمت البدعة وكانت أحب إلى إبليس من المعصية باعتبار أنها لا يُتاب منها على الغالب ويفعلها الإنسان تدينًا ، وربما قاتل لأجلها بخلاف الغرائز والشهوات .

الفرق بين البدعة والمبتدع

ثمة فرق بين البدعة والمبتدع فليس كل فاعل للبدعة مبتدع فقد يكون يفعلها بحسن قصد وهو معروف بمحاربة البدعة .

فالصحابة معروفون بمحاربة البدعة والتحذير منها فإذا جاء عن أحد منهم فعل شيء لم يثبت فيه دليل من كلام الله ورسوله ليس لنا أن نصفه بالبدعة أو أنه مبتدع لأنه هو من يحارب البدعة ، فالمبتدع هو الذي ظهر منه البدع بتتبعها ولا يعرف له مخالفة في هذا الباب ، وأصبح سائد في قوله وفعله فيوصف بأنه مبتدع ويُحَذَّر منه ومن طريقته ، فذاك مبتدع أما الفعل الواحد المجرد الذي يكون من واحد عُرِف من سبر حاله بأنه يحارب البدعة فلا يوصف بالمبتدع .

وإذا كان من العامة من يوافق أحد المبتدعين على طريقته ومنهجه في كل أفعاله فهؤلاء مبتدعة ولو لم يكن هم أصلها وذلك ككثير من المبتدعة الذين ينقلون الأعمال والأقوال وأعظم ذلك هو الشرك .

وأما بالنسبة للذين يقتدون ببعض الصحابة في بعض أفعالهم التي لا دليل صحيح فيها من الكتاب والسنة فالذي يظهر لي والله أعلم أنهم لا يوصفون بالمبتدعة وإنما يوصف الفعل بالبدعة .

اجتهاد الصحابي بما دل الدليل عليه

الأفعال التي ترد عن الصحابة باعتبار علو منزلتهم ومكانتهم وقربهم من الوحي وكذلك حذرهم من البدعة لا تصف بالبدعة ، وإنما ندع الفعل لعدم وجود دليل من كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ ونعذرهم في ذلك إما أن يكون لديهم شيء من العلم ونسخ وذلك أن الشريعة جاءت ولابد من حفظها وإحكامها ولابد من وجود دليل ويرد لدينا فإذا لم يرد فنقول إنه ليس من الدين ، فالدين محفوظ حفظه الله سبحانه وتعالى .

والصحابي نعذره باعتبار أن لديه مستند مرجوح أو منسوخ فيُعذر فيه ولكن الاقتداء لابد أن يكون بالكتاب والسنة .

وقول الصحابي في تفسير دليل من الأدلة هل هو اجتهاد أو هو اقتداء بهدي السالفين ؟

المسائل خلافية في فهم الأدلة والأحكام ولكن نتكلم هنا في عبادة لم يكن لها وجود في الدليل من جهة الأصل ، وهذا وجد عن بعض الصحابة وهم قلة في بعض المسائل : جاء عن عبد الله بن عمر وعن عبد الله بن عباس وجاء عن طلحة بن عبيد الله وغيرهم شيء من الأفعال التي ليس فيها مستند من سنة النبي ﷺ أو ظواهر الأدلة من الكتاب فيقال أنه نوع من الاجتهاد ولكن مستنده قليل في ذلك فيرجع فيه إلى أبواب إحسان الظن : إما أن يكون اعتمدوا على نص منسوخ أو ربما اعتمدوا على آثر ولو لم يكن موجودًا ، ولكن من جهة الأصل نحن مخاطبون عما أجبنا المرسلين ، والمرسلون هو النبي ﷺ الذي أرسله الله تعالى إلى هذه الأمة كافة وهو خاتم الأنبياء والمرسلين .

ولهذا فإن الاثار التي تروى عن الصحابة في حال صحتها لهم ولم يرد عليها دليل يُعذر صاحبها ولا يوصف بالمبتدع ولكن نرجع إلى السنة ولا يؤخذ بقوله لأننا مسائلون يوم القيامة عن إجابة النبي لا عن إجابة غيره .

ومن جهة الأصل الديني لا يوجد بدعة حسنة وبدعة هداية وإنما كلها بدعة ضلالة ، ولهذا جاء في المسند والسنن من حديث العرباض بن سارية (إِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ) [11] فقد حذرالنبي ﷺ وبين أن كل بدعة ضلالة .

وقد جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قام في الناس بصلاة التراويح فقال (نعمت البدعة)وأراد المعنى اللغوي فعمر بن الخطاب من أشد الناس تحذيرًا من أبواب البدع ولكن استعمال المعنى اللغوي من الأمور السائغة والتي لا يراد بها المعنى الاصطلاحي .

وكثيرًا من المصطلحات والألفاظ خاصةً في الصدر الأول ما قبل التقنين وتدوين الفقهاء يكون فيها شيء من الاشتراك .

ولهذا فإن المعنى اللغوى هو المقصود من عمر بن الخطاب رضي الله عنه والدليل أن النبي ﷺ صلى بالناس صلاةالتراويح وإنما منعهم خشية أن تفرض عليهم فكما جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ صلى بأصحابه ليالٍ ولما كانت الثالثة أو الرابعة لَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ (لَمْ يَمْنَعْنِي مِنْ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ)[12] فامتنع ﷺ من ذلك خشية أن تُفرض صلاة التراويح عليهم ، ثم توفي النبي ﷺ وظهر من نصوص وحيه الوصية بأداء صلاة التراويح جماعة وذلك كما جاء في المسند وغيره كما عند ابي داود (إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ) [13] فمن هو الإمام والنبي قد احتجب ؟ يعنى أنه يقصد من كان بعد ذلك .

وأبو بكر الصديق لم يُحيي صلاة التراويح لانشغاله بقتال المرتدين والجهاد ، ولكن لما جاء الأمر إلى عمر بن الخطاب واستقر له الأمر أحيا هذا الأمر وقال نعمت البدعة ، وهي ما أحدثه مما كان مندثرًا من عمل الناس الذي لم يكن موجودًا من جهة العمل ولكن من جهة الفقه فهو موجود ، وهذا الذي قصده عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

---

[11]) رواه أحمد (126/4)، والدارمي (96)، والترمذي (2676)، والطبراني في مسند الشاميين (617)، وأبو عوانة في مستخرجه على مسلم (35/1)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (181/2)، والطحاوي في المشكل (69/2)، مختصراً، والحاكم (95/1_96)، وأبو نعيم في الحلية (220/5)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (182/2)، والبغوي في شرح السنة (102)، وفي تفسيره (145/2) من طرق عن أبي عاصم الضحاك بن مخلد .

[12]) رواه البخاري (1129) ، وفي لفظ مسلم (761) (وَلَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ صَلاةُ اللَّيْلِ فَتَعْجِزُوا عَنْهَا) .

[13]) رواه أبو داود رقم الحديث (1377) ، وابن ماجه رقم الحديث (1388) ، والإمام أحمد في المسند رقم الحديث (22030) ، وابن خزيمة في صحيحه رقم الحديث (2206) . إسناده صحيح . ينظر : صحيح أبي داود (119/5) رقم الحديث (1245) ، وإرواء العليل رقم الحديث (447)).

وقد جاء عن الإمام الشافعي في كتابه الحلية كما رواه أبو نعيم أنه قال البدعة على نوعين " بدعة محمودة وبدعة مذمومة " نقل ذلك البيهقي في كتابه السنن من حديث الربيع بن سليمان المصري قال (قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : الْمُحْدَثَاتُ مِنَ الأُمُورِ ضَرْبَانِ : أَحَدُهُمَا : مَا أُحْدِثَ يُخَالِفُ كِتَابًا ، أَوْ سَنَةً ، أَوْ أَثَرًا ، أَوْ إِجْمَاعًا ، فَهَذِهِ لَبِدْعَةُ الضَّلالَةِ . وَالثَّانِيَةُ : مَا أُحْدِثَ مِنَ الْخَيْرِ لا خِلافَ فِيهِ لِوَاحِدٍ مِنْ هَذَا ، فَهَذِهِ مُحْدَثَةٌ غَيْرُ مَذْمُومَةٍ ، وَقَدْ قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي قِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ : نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ)[١٤] فالمراد بذلك إحياء السنن التي قد أُميتت في الناس .

وهذا الاستعمال استعمله بعض الصحابة كما جاء عند أبي شيبه عن عبد الله بن عمر أنه قال في صلاة الضحى " محدثة أحدثوها ونعم الإحداث " يعنى أنها موجودة وذلك لثبوتها في الصحيحين وغيرها جاء في ذلك عن أبي هريرة أنه قال (أَوْصَانِي خليلي بثلاث صيام ثلاثة أَيَّام مِنْ كُل شَهْرٍ، وَرَكْعَتَي الضُّحَى، وَأن أُوْتِرَ قَبْلَ أن أَنَامَ)[١٥] وجاء عن النبي ﷺ أن عائشة قَالَتْ (كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي الضُّحَى أَرْبَعًا ، وَيَزِيدُ مَا شَاءَ اللهُ)[١٦] وجاء عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ (يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى)[١٧] وهذا دليل على مشروعية صلاة الضحى ووصفت بالبدعة كما جاء عند ابن أبي شيبه في المصنف وجاء عن على بن أبي طالب كما رواه جعفر بن محمد عن علي بن أبي طالب عليه رضوان الله تعالى ، ولكن المراد هنا هو المعنى اللغوي أنها اندثرت من عمل الناس فقام الصحابة بإحيائها وإعادتها في الناس .

وقد جاء في قراءة سورة الكهف يوم الجمعة (عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ : مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ)[١٨] واختلف في رفعه

---

[١٤]) رواه البيهقي في شعب الإيمان: (177/3)، وفي (مناقب الشافعي) (ج469/1)، وذكره الحافظ ابن حجر في (فتح الباري): (267/13).
[١٥]) رواه البخاري ، الحديث رقم 1981 ، ص 319 .
[١٦]) رواه مسلم في (صلاة المسافرين) برقم (1175)، وابن ماجه في (إقامة الصلاة) برقم (1371)، والإمام أحمد في (باقي مسند الأنصار) برقم (25084).
[١٧]) مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة الضحى حديث رقم 01216
[١٨]) رواه البيهقى (249/3) من طريق الحاكم وهذا فى " المستدرك " (368/2) من طريق نعيم بن حماد حدثنا هشيم أنبأ أبو هاشم عن أبى مجلز عن قيس بن عباد عن أبى سعيد الخدرى.

ووقفه والصواب في هذا الخبر أنه موقوف وليس مرفوعًا ، فإذا قرأ على رأى بعض العلماء وقلد فالأمر سعة والحديث على قراءة سورة الكهف دون تقييدها بيوم الجمعة ولو قرأها يوم الجمعة تقليد لقول العلماء الذين يصححون الحديث فالأمر سعة .

مراتب البدعة

البدع كلها مذمومة على ما تقدم لحديث العرباض بن سارية لكن ثمة مراتب بدع قلبية وهو ما يتعلق بالنية ، بدع قوليه وبدع فعلية منها ما يتعلق بالآداب والسلوك أو الأحكام والعبادات والتوحيد ، وأعظم أنواع البدع هو الإشراك مع الله تعالى غيره ، وهو ما كان فيه كفار قريش مما أحدثوا في دين الله من عبادة الاصنام والنذر لها والذبح لها والطواف عليها وسؤالها من دون الله ومثله يفعل في البلدان في الأضرحة والقبور ، تسمى بدعة ولكنها بدعة مكفرة ، والبدع المكفرة مثل الطوائف البدعية الذين يقولون بخلق القرآن أو بنفي القدر كما جاء في حديث عبد الله بن عمر لما حلت القدرية (قال ابن عمر: " والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أُحد ذهبا، ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه، حتى يؤمن بالقدر ". ثم استدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)[١٩] وهذا ما يتعلق ببدع القدرية وبدع الجهمية والمرجئة والخوارج وغيرها من البدع والتي تعظم بحسب أثرها على الإيمان .

وأعظم البدع في ذلك هي البدع المكفرة التي تؤثر على الإيمان وتزيله وهي على أنواع فالبدع التى تتعلق في جوانب الربوبية أعظم من البدع الألوهيه وإن كانت تدخل في دائرة الكفر وعلى أنواعه ومراتبه في هذا الباب منها ما يكون في الشرك الأصغر ومنها ما يكون في الكفر الأصغر ومنها ما يكون في الكفر الأكبر .

[١٩]) مسلم : الإيمان (8) ، والترمذي : الإيمان (2610) ، والنسائي : الإيمان وشرائعه (4990) ، وأبو داود : السنة (4695) ، وابن ماجه : المقدمة (63) ، وأحمد (27/1، 28/1).

والشياطين يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا فمن جهة الزخرفة وتهذيب الأفكار والتحسينات اللغوية والبهرجة وغير ذلك ينبغي للإنسان ألا يلتفت للمظاهر وعليه بالجواهر وهي المعاني الحقيقة .

والالتفات للمظاهر يجعل الإنسان يتعلق بالمظهر فإذا زال المظهر فإنه يرجع للمخبر فيجد المخبر مخالف لما كان عليه فينتكس ، أما الذي يتعلق بالجوهر ولا يلتفت للمظهر سواء كان حسنًا أو سيئًا فإنه باقٍ على ما هو عليه وأظهر ثباتًا .

وأصل البدع في زماننا اعتمدت على التشكيل وعلى زخرفة الأقوال وتشييد وتعظيم القائل بها سواء كان ذلك من لغة العصر بالتقدم والحضارة والمدنية ووصف المخالفين بالتخلف والجهل والبعد عن التمدين ، وغير ذلك فهذا من العبارات التي تستعمل وتهيب الإنسان من الأقدام على الحق وتجسره على الإقدام على الباطل ، والألفاظ البراقة لا قيمة لها من جهة معرفة الحقائق والإنسان لا يُعذر ولو كان في حقيقته جاهلاً .

واجب العالم تجاه البدعة

أصل الوجوب على العالم هو بيان السنة فالسنة إذا اقيمت زالت البدعة وإذا غابت السنة يظهر الجهل وتحدث البدعة ، ولهذا النبي ﷺ لما أمر بالاعتصام بالكتاب والسنة ، دل على من يناقض السنة إنما هي البدعة كما جاء في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه (عليكُمْ بسُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاء المَهْدِيِّين الراشِدينَ ؛ تمسَّكوا بها وعَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ وإياكم ومُحْدَثاتِ الأمورِ فإن كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ)[٢٠] فثمة مزاحمة وهي البدع المحدثات التي تدخل في دين الله تعالى لهذا ما كان من أمر المعاصي والشهوات يسير لأنه معلوم أنه ليس من الدين من جهة الزنا وشرب الخمر وغير ذلك ، لكن ما جاء من جهة التدين والعبادة فإنه يفعلها على اطمئنان وعدم إنكار وربما دعا الناس لذلك ، ولهذا تجد الذي يعصي لا يحب أن تنتشر معصيته كحال الأب يتناول المسكر لكن لا

[٢٠]) سبق تخريجه انظر :11.

يريد أن يراه أحد ، لكن الأشياء النبيلة التي يتدين بها فإنه يحب أن يكون أبناؤه على مثل هذا الأمر ولهذا كانت البدعة أشد خطرًا من المعاصي باعتبار أن المعاصي لازمة وأما البدعة متعدية ومنتشرة .

ومن رسالة العالم محاربة البدع : أن العالم إذا قلل من جانب الرسالة وأدائها ظهرت البدعة ولهذا لا تظهر البدع في مجتمع إلا والعالم مختفي إما أن العالم معدوم أو أنه معطّل لرسالته ولهذا جاء عن النبي كما في الصحيح (إِنَّ اللهَّ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا) [٢١] انظر إلى المعادلة السياسة في هذا ! فالناس لابد أن يفرضوا وجود عالم لابد أن ينصبوا وهذا أمر فطري لابد أن يكون لهم هرم في دينهم ، فإذا غاب العالم أوجد الناس جاهلاً فيضلون الناس وتظهر البدع .

والعلم إذا ضعف في الناس ظهرت البدع ولهذا يقول النبي كما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ) [٢٢] فما تظهر إلا بعد قبض العلم ، ولهذا أداء رسالة العالم تكون ببيان الحق للناس مما يقلل البدع والشبهات ، وقد جاء عند الدارمي في كتابه السنن من حديث عبد الله بن مسعود عليه رضوان الله قال (كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبِسَتْكُمْ فِتْنَةٌ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ ، وَيَتَّخِذُهَا النَّاسُ سُنَّةً ، فَإِذَا غُيِّرَتْ ، قَالُوا : غُيِّرَتْ السُّنَّةُ " ، قَالُوا : وَمَتَى ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؟ ، قَالَ : " إِذَا كَثُرَتْ قُرَّاؤُكُمْ ، وَقَلَّتْ فُقَهَاؤُكُمْ ، وَكَثُرَتْ أُمَرَاؤُكُمْ ، وَقَلَّتْ أُمَنَاؤُكُمْ ، وَالْتُمِسَتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ "[٢٣] وفي قولهم " تركت السنة "يظنون أن هذه البدع سنة فيقومون بالدفاع عنها ، وهذا من عبد الله بن مسعود في بيان حال الموازنة في جانب البدع : أن العلماء إذا ظهروا وقاموا بأداء رسالتهم اضمحلت البدع وإذا ضعفوا في هذا الجانب فإن البدع تظهر وتقوى شوكتها.

[٢١]) أخرجه البخارى (50/1 ، رقم 100)، ومسلم (2058/4 ، رقم 2673)، وأحمد (162/2 ، رقم 6511)، وابن أبى شيبة (505/7 ، رقم 37590) ،والترمذى (31/5 ، رقم 2652)، وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (20/1 ، رقم 52) . وأخرجه أيضًا : الدارمى (89/1 ، رقم 239)، وابن حبان (432/10 ، رقم 4571).

[٢٢]) رواه البخاري : الفتن (7121) ، ومسلم : الفتن وأشراط الساعة (157).

[٢٣]) أخرجه أبن أبي شيبة (8/ 599) حدثنا أبو معاوية عن والدارمي(1/ 75) أخبرنا يعلى ثنا والحاكم (4/ 560).

السلطان والبدعة

جاء عند الخطيب وغيره عن عثمان بن عفان كما روي عن عمر بن الخطاب **(إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن)** [٢٤] يعنى أن السلطان وهيبته وإقامة النظام والحكم بدين الله ودفع البدع دليل على قوته وتمسكه بدين الله .

فلا تظهر البدع وتنتشر ويكون لها رواج وتظهر رؤوس أهل البدع إلا في حال ضعف السلطان وضعف شوكته ، ولهذا يجب على السلطان أن يقوم بأمر الله تعالى حتى تضعف البدع وتضمحل فيبتعد الناس عنها ، فبقدر ضعف البدع دليل على قوة السلطان وبمقدار ظهورها وتفشيها وظهور رؤوسها يتكلمون بغير خوف دليل على ضعف السلطان .

ولهذا نجد أن بشر بن غياث المريسي لما كان في بدعته لم يظهر هذه البدعة ، فلما خُلف بعد ذلك بالمأمون أظهر تلك البدعة لأنه خاف في زمن هارون وأمن في زمن غيره ، وهذا موجود كون أن البدع والشبهات موجودة كامنة في نفوس الناس ولكنها خاملة فإذا أمنوا أظهروها ، وهذا موجود في كثير من البلدان ولهذا نتفاجيء في كثير من البلدان يظهر الشر وينبت فبذوره موجودة ولكن بحاجة إلى سُقيا وهذه السقيا تكون بالأمان والأمان يكون بضعف السلطان والسلطان لا يُعذر في ذلك لأنه يجب عليه أن يقيم أمر الله تعالى الذي استخلفه بالإتيان به .

[٢٤]) في المدونة لابن القاسم عن مالك عن عثمان رضي الله عنه بلاغا وهوعن عمر رضي الله عنه في تاريخ الخطيب البغدادي مسندا ولا يصح .
وجاء في التمهيد لابن عبد البر ج: 1 ص: 118، وفي تاريخ بغداد ج: 4 ص: 107 ، وفي البداية والنهاية لابن كثير في المجلد الحادي عشر في مناقب الخليفة العباسي المعتضد .